حول «حديث عيسى بن هشام»

طالعت فى العدد (٤٨٦) من مجلة (الرسالة) الغراء ما دبجه يراع الدكتور زكى مبارك عن «حديث عيسى بن هشام» لمنشئه المرحوم عمى محمد بك المويلحى. وإنى أعقب اليوم على مقال الدكتور بدافع الرغبة الصادقة فى لفت نظره إلى بعض ملحوظات رأيت من واجبى أن أدلى بها خدمة للحقيقة وللتاريخ

يقول الأستاذ: إن كتاب عيسى بن هشام ينسب بالباطل أو بالحق إلى أبيه إبراهيم، تاركا القارئ بين الشك واليقين. والأدباء الذين تذوقوا أدب المويلحى الأب والمويلحى الابن يعرفون أن لكل منهما ميزات خاصة فى الكتابة. ثم إن المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد، وأصحاب المقطم، والمرحوم شوقى بك، وحافظ بك ابراهيم، والشيخ محمد عبده، والبارودى، والشنقيطى، كانوا معاصرين له، فلو أن «عيسى» كان لغير «محمد» لأذاعوا به

والبرهان القاطع بأن عيسى هو من إنشاء محمد لا من إنشاء أبيه ما احتوته الديباجة التالية فى العدد ١٠٩ من (مصباح الشرق)؛ وقد توقف المرحوم جدى عن متابعة رسالة (مرآة العالم) أو (موسى ابن عصام)، تاركاً الكلام لعيسى بن هشام قال: «شغل حديث عيسى بن هشام، عن متابعة ما يحكيه موسى بن عصام، فمرت الأشهر والأيام، حتى انقضت مدة العام، وسافر عيسى إلى المعرض، وعاد موسى إلى ما انقطع من كلامه، وعدنا إلى ما يدور بينه وبين شيخه وإمامه»

هذا، وقد أشار المرحوم جدى فى العدد (١٠٧) من (المصباح) عن سفر عمى إلى باريس بالعبارة التالية:

«يسافر محمد المويلحى إلى معرض باريس فى يوم الأحد الآتى (١٠ يونيو سنة ١٩٠٠)؛ وسينشر (المصباح) ما يوافيه به عيسى بن هشام من غرائب المعرض وعجائبه، بعد الوقوف على إجماله وتفصيله، كما يعلم ذلك من رسالته فى صدر الجريدة اليوم: (يعنى حديث عيسى بن هشام)

وجاء فى العدد (١١٦) من (المصباح): «هذه الرسالة الأولى من حديث عيسى بن هشام عن زيارة معرض باريس، بعث بها إلينا السيد محمد المويلحى بعد رسالته التى نشرناها فى أحد أعدادنا الماضية عن زيارة سمو الجناب العالى الخديو لجلالة ملكة الإنجليز فى بلادها»

كذلك نأخذ على الدكتور مبارك حكمه على محمد بك من أول جلسة جلسها معه عند المرحوم أحمد باشا شفيق، لأن الرجال أسرار، وقيمة الرجل لا تعرف إلا بعد طول المعاشرة.

ولم يعتزل محمد بك الكتابة كلية بعد موت أبيه كما قال الدكتور، وإنما اعتزلها حيناً من الدهر حين اشتغل مديراً لإدارة الأوقاف العمومية بعد مديرها أحمد شفيق باشا. ومع كل فقد كان ينشر فى الصحف اليومية المقالات الضافية فى المناسبات الهامة كما ذكر بنفسه ذلك فى المؤيد بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٩٠٨ تحت عنوان: «كلمة مفروضة»، وكان الكلام يدور حول منع نصب تمثال «دانتى الإيطالى» فى مدينة الأسكندرية. ولا يفوتنى ذكر مقالته «صوت من المزلة» التى افتتح بها الأهرام صحيفته فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢١ وفيها يذكر عن بك سبب عزلته ويرحب باتحاد الأحزاب فى مصر وما فى الاتحاد من عزة للشرق

وفى سنة ١٩٢٥ طلب منه صاحب جريدة مشهورة فى مصر أن يكتب مقالين فى الشهر مختاراً له لوناً معيناً من السياسة ويأخذ عليهما ثمانين جنيهاً؛ فأجابه المويلحى الصغير بكلمته المشهورة: «قلم المويلحى لا يباع»

أما سور بابل فلا مبالغة فيه إذا علم الأستاذ مبارك أن المهندس اليونانى Philon de Byzance [1] الذى كان يعيش فى القرن الثانى قبل المسيح هو أول من جمع فى مؤلف واحد وصف عجائب الدنيا السبع بكل ما أوتى من دقة تكون أهلاً لمهندس. ولم يقصد محمد بك بقوله إن السور يتسع للاحاطة بسبع مدائن كمدينة باريس (فى سنة ١٩٠٠ طبعاً) إلا على

(١) Leon-Allāci : Philo Byzantius de septum orbis spectaculis groece et Latine. Rome 1640.

الطريقة الحسابية التي سبقه بها في مثل هذه العمليات الحسابية للمهندس الفرنسي (لينان باشا) حيث قال : إن حجارة الأهرام تكفي لبناء قناطر محمد علي .

ابراهيم المويلحي

اللغة والتعريب

تحركني كلمة الأستاذ زكريا ابرهيم إلى الرد لأنها تتناول مسألتين جوهريتين : أولاهما مسألة الخطأ والصواب بمناسبة « عثرت به » و « عثرت عليه » وثانيتهما مسألة تعريب الأسماء الأعجمية .

فأما عنْ « عثرت به » فقد قلت إن المعنى الذي أريد التعبير عنه هو العثور بالشيء أي ملاقاته اتفاقاً ، ولم أرد « العثور عليه » أي الاطلاع الذي يدل على علم ومعرفة وبحث وجهبذة لا أدعيها .

والذي يدهشني هو تفضل هؤلاء العلماء بلفت نظري إلى مختار الصحاح ودوائر المعارف وتراكيب اللغة الإنجليزية وهذه كلها مراجع ما كنت أحلم بوجودها .

وآفة هذه المهازل هي قول بيكون : « العلم الصغير شيء خطر » وهذا طبعاً لا علاقة له بالعلماء الكبار أمثال الكرملي وزكريا ابراهيم ؛ وهما بلا ريب يعلمان أن لغات العالم كلها مجازات ميتة وأن تلك المجازات رغم موتها تحتفظ دائماً بشيء من معناها الحقيقي . فأنا عندما أقول « عثرت بالشيء » مفسراً بقولي « وقعت عليه » يكون معنى ذلك أنني اطلعت عليه ولكن مصادفة كما يعثر حافر الجواد بأحد الكنوز . وبذلك أعبر عن المعنى الذي في قلبي تعبيراً لا تحققه « على » بما تفيده من قصد إلى غاية وسعي لبلوغها .

ثم إن مسألة الصحة والخطأ في اللغات أصبحت مسألة تافهة لا يحرص عليها في غير مجال التعليم المدرسي . وأما العلم فقد تقدم وأصبحت المناهج تاريخية فترى العلماء اليوم لا يقررون الخطأ والصواب في اللغات وإنما يستقرون الإستعمالات عند كبار الكتاب ويفسرون ما يطرأ على اللغة من تطور . ومن الغريب أن نظل نحن مترددين في طرق التفكير التي تخلص منها العالم المتحضر منذ أكثر من قرن . فاللغة العامية ذاتها ليست مجموعة أخطاء ، وإنما هي تطور عادي مألوف في كل اللغات . واللغة الفرنسية والإيطالية كذلك ليستا أخطاء في اللغة اللاتينية .

وإذن فكلام الكرملي وكلام زكريا ابراهيم حذلقة تافهة ومماحكات لا علاقة لها بمناهج البحث في اللغات التي لم تعد تقريرية Dogmatique في شيء .

وأما عنصر الثبات في اللغة وهو ما يطالب به الأستاذ زكريا حتى لا يصير الأمر فوضى ، فذلك مالا أستطيع أنا أن أدخله في اللغة بل ولا المجمع اللغوي نفسه . عنصر الثبات هو استعمال كبار الكتاب لمفردات اللغة وتراكيبها ، ثم قراءة مؤلفات كبار الكتاب في المدارس والجامعات لتشيع تلك الاستعمالات . وكل محاولة في غير هذه السبيل لن تجدي شيئاً .

اللغة كائن حي لا يقنن له وأكبر دليل على صحة ما أقول هو أن المجمع اللغوي لم يستطع شيئاً في هذا الباب ولن يستطيع . وأنا أشكر الأستاذ زكريا إبراهيم إذ نبهني ونبه زملائي أساتذة الجامعة إلى وجوب ترجمة أسماء الأعلام كما ينطق بها أهلها . فهذا لا ريب مبدأ سليم ولكن على شرط أن نعرف كيف كان ينطق بها أولئك الأهل . ونحن لسوء الحظ لا نعرف ذلك دائماً . ولقد ثار الأستاذ زكريا على أساتذة الجامعة وثار الأب الكرملي لأننا نعرب أحياناً عن الإنجليزية والفرنسية مع أنني أستطيع أن أؤكد لهذين العالمين الفاضلين أننا نعرف مبادئ اللغات الأندو أوربية وبخاصة اللاتينية واليونانية ، ولكننا مع ذلك نؤثر أن نترجم عن اللغات الحديثة لأننا لسنا على ثقة من نطق هاتين اللغتين ، وهما لغتان ميتتان ، والعلماء مختلفون في نطقهما الآن أشد الاختلاف . وأنا وإن كنت لا أستطيع أن أدخل هنا في التفاصيل إلا أنني أضرب لذلك مثلاً باسم الخطيب الروماني الشهير Cicero فهذا الإسم ينطقه اليوم علماء الإنسانيات الإيطاليون « شيشرو » كأنه لفظ من ألفاظ اللغة الإيطالية الحديثة . والفرنسيون كذلك ينطقونه « سيسرو » والإنجليز « كيكرو » فأيها أصح ؟

نعم لقد قامت في السنين الأخيرة دعوة كان من أكبر زعمائها العالم الفرنسي ماروزو Marouzeau تدعو إلى محاولة النطق نطقاً تاريخياً أي نطقاً يقارب النطق القديم يستنتجونه من بعض الكتابات الصوتية القديمة ومن العناصر الموسيقية

فى الشعر ومن نتائج علم الأصوات التاريخى وتطور نطق الحروف المختلفة كما يستعينون بآراء العالم إرزم ومحاولاته فى هذه السبيل.

أقول إن ذلك كله قد كان، ولكن هذه المحاولات لم تنجح. ولا يزال علماء كل بلد فى أوربا ينطقون اللاتينية واليونانية كأنهما من لغاتهم. وإذن فنحن حتى فى هاتين اللغتين مضطرون إلى أن نتخير نطقاً نأخذه عن علماء أحد هذه البلاد. وذلك إلى أن يستقر النطق التاريخى Recoostituée على أسس ثابتة مقبولة من الجميع

ويزيد الأمر تعقيداً أن مسألة تعريب الأسماء لا يمكن أن يكون وفقاً لقرارات يصدرها المجمع اللغوى أو الأستاذان الكرملى وزكريا ابراهيم، وإنما الأمر أمر استعمال: استعمال كبار الكتاب الذين لهم من الشهرة ما يجعل تعريبهم يذيع بين الناس

خذ لذلك مثلاً ما استقر عليه العرف فى فرنسا منذ القرن السابع عشر تجد أن أسماء الأعلام الشهيرة التى تتداولها الألسن قد أعطيت صيغة فرنسية، ولذلك يقولون فرجيل وهومير وسوفوكل وأوربيد وإشيل. وأما الأسماء التى لا ترد إلا على ألسنة الخواص من العلماء فقد تركت لها صيغتها اللاتينية واليونانية، ولذلك يقولون: كورينلوس نيوس وإبيكوس وبيوس ومورسكوس ومن إليهم

وإذن فالأمر أعقد مما ظن الأستاذ زكريا ابراهيم. وأساتذة الجامعة يؤلمهم أن يبلبلوا أذهان القراء. ولكن ما الحيلة والمسائل معقدة؟ أليس من الأجدى علينا وعليكم أن نتركونا نتحسس السبل ونجاهد حتى نصل إلى تعريب سهل قريب مستساغ نرجو معه أن تنتشر الألفاظ التى نفضلها فتنحل المشاكل ويرتفع اللبس؟ ثم أليس من الخير أن نعرب عن إحدى اللغات المنتشرة فى بلادنا بدلاً من التعريب عن لغات قديمة لا يعدو من يعرفها من مواطنينا الذين نكتب لهم عدد الأصابع!

محمد شفيق غربال

سبب مجهول من أسباب اختلاف القراءات

المعروف أن أقوى سبب لاختلاف القراءات يرجع إلى اختلاف اللهجات العربية، فجاء الإذن بقراءة القرآن على الفصيح من تلك اللهجات، ولم تتعين قراءته باللغة التى نزل بها وهى لغة قريش، تيسيراً على غيرها من القبائل العربية

ولكن هناك سبباً آخر لم يذكروه فى أسباب اختلاف القراءات، مع أن من هذه القراءات ما يظهر غاية الظهور أنه راجع إليه، ولا يظهر أنه راجع إلى اختلاف اللهجات، وذلك نحو قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) ففى بعض القراءات (فتثبتوا) بدل (فتبينوا) ولا شك أن مثل هذا فى القراءات وهو كثير لا يظهر إرجاعه إلى اختلاف اللهجات، وإنما يظهر إرجاعه إلى ما كانت عليه الكتابة العربية قبل اختراع النقط والشكل فيها، لأن مثل هذا يقف القارئ فيه متحيراً، فلا بد أن يرجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى قراءته، وقد يكون بعيداً عنه فيتعذر رجوعه إليه، فقضت رأفة الله أن يقرأ القرآن بما يحتمله من ذلك تيسيراً على المسلمين فى عصر الوحى، وثقة بملكة العربى فى ذلك الوقت. ولعل النبى صلى الله عليه وسلم كان يعين أمثال تلك المواضع، أو كانت ترد إليه فيقر ما يراه منها. ومما يظهر حمله على ذلك أيضاً قوله تعالى: (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) فقد قرأ الحسن وحماد الراوية (وعدها أباه) بالباء، وأمثلة ذلك كثيرة فى القرآن الكريم، فإذا كنت أصبت فى حملها على ذلك السبب فهو من فضل الله، وقد يكون الصواب فى غير ما رأيت من ذلك، والعصمة لله وحده

عبد المتعال الصعيدى

(الرسالة): أشرنا إلى هذا الرأى بإيجاز فى كتابنا «تاريخ الأدب العربى»

الشاعر المظلوم

الأستاذ الدكتور زكى مبارك

عدت على شاعرنا «إسماعيل صبرى باشا» أن اشترك فى «عام الكف» مع أنه مدح الشيخ أحمد الزين!

كذلك جاء فى مقالك الأخير بالرسالة الذى تحلل به الويلحى فى فقرة جعلت عنوانها (الأديب المضطهد) فأوحيت إلى بهذا العنوان

ومدح الشاعر صبرى باشا للشيخ أحمد الزين له قصة رواها على ملأ من كرام العلماء والأدباء إمامٌ من أئمة الأدب والعلم والفضل هو شيخنا مصطفى عبد الرازق باشا يجب إيرادها إنصافاً للشاعر الغائب :

كان ذلك منذ عامين ، وبيت عبد الرازق بعابدين على عهدك به فى ليلة من ليالى رمضان ؛ ولم يكن الشيخ أحمد الزين وطائفة من أصدقائه غائبين عن هذه الجلسة ، وجرى ذكر الشعر والشعراء وصلتهم بالنحو واللغة فقال الدكتور هيكل باشا : لعل الشاعر إسماعيل صبرى باشا لم يكن واسع المحصول اللغوى سمة تحميه من التورط أحياناً فى بعض الأخطاء . فالتفت الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا يدفع غيبة صديقه صبرى باشا فقال له هيكل باشا : لقد أسمعنى بعضهم شعراً له جاء فيه كلمة (خلاق) بمعنى خلق وهى ليست كذلك فيما يقول الشيوخ !

فقال الشيخ عبد الرازق باشا ـ والشيخ أحمد الزين حاضر ـ إننى أنكرت ذلك أيضاً ، فلما لقيت صبرى باشا لم أكتمها عنه فكان جوابه : إن الشيخ الزين رجل مشار إلى الود ، فلما هم بطبع ديوانه سألنى أبياتاً فلم تسعفنى القريحة . ولما تكرر منه الطلب لم يسعنى إلا أن أقول له — وهو شاعر أيضاً — اصنع أبياتاً لنفسك على لسانى . فلما أهدى إلىّ ديوانه قرأتها كما قرأتموها ، وصبرت على ما لم تصبروا عليه

* * *

وأقول : إنك يا دكتور — وأنت ذواقة — حين تقرأ الأبيات لا ريب تنكر نسبتها إلى سائر شعر صبرى باشا ، أو تتردد طويلاً جداً على الأقل . وها هى ذى ليشترك معك ومعى قراء الرسالة فى الحكم :

إذا كنت يا زين زين الأدب ... فإن كتابك زين الكتب
قلائد طوقت جيد البيا ... ن بهن وحليت جيد العرب
خلائق تزرى بنفح الرياض ... إذا ضحكت من بكاء السحب
وما المرء إلا (خلاق) كريم ... وليس بما قد حوى من نشب

(المجمع اللغوى)

على فوده

سكك حديد الحكومة المصرية

تذاكر الاشتراكات الكيلومترية

بمناسبة العودة إلى صرف تذاكر الاشتراك الكيلومترية يتشرف المدير العام بلفات نظر الجمهور إلى الفقرة (ألف) من شروط تذاكر الاشتراك على خطوط السكك الحديدية والتى تنص على ضرورة تقديم الطلبات قبل ابتداء مفعول هذه التذاكر بخمسة أيام سواء كانت كيلومترية أو عادية تفاديا من تأخير الطلبات

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)